قيمة الوثائق التاريخية

كنا أشرنا ، في الجزء الأول من كتابنا ، إلى الوثائق المطوية ، العربية والتركية ، التي وجدناها في دار المحفوظات التركية باستانبول – وكان بعضها غير « مفهرَس » ، ثم امتدت اليه يد العناية فلخصت محتوياته و « بوّبت » موضوعاته – وهناك وثائق كبيرة الخطر في القاهرة وفي بلدان أخرى عربية وأجنبية تلقي أضواء على نواح ما تزال مجهولة من التاريخ العربي عموماً والتاريخ السعودي خصوصاً ، ونحن لا ندّعي أننا وقفنا على كل تلك الوثائق وأحطنا بها علماً وأفدنا منها في تحقيق الوقائع المذكورة في كتابنا ... ولكننا نرجو أن تقوم الحكومة السعودية ، في عهد فيصلها العظيم ، بجمع هذه الوثائق وترجمتها وترتيبها وتكليف عدد من الباحثين دراستها و « تقييمها »[1] ثم وضعها في متناول المراجعين .

أما هذه الوثائق المعدودة التي تخيرناها من بين عدد كبير من مثيلاتها ، ونشرناها في هذا الملحق ابتداءً من الصفحة ٢٧٥ حتى الصفحة ٣١٧ ، فكان السبب في اختيارها صلتها بالحملة المصرية الاولى التي بدأت في عهد الإمام سعود ،

(١) كان الأمثل أن يقال « تقويم » .. ولكننا أخذنا بهذه الصيغة ، حتى تعرف النسبة الى القيمة .. وهي الصيغة المشهورة .

والتي لخصنا وقائعها في هـذا الجزء من كتابنا ، وقد قارنـّا بين مضامينها وبين أقوال ابن بشر وغيره من المؤرخين وكونـّا على هدى هذه المقارنة رأينا وقناعتنا.

ونحب أن نشكر هنا للأخ الكريم الاستاذ فوزي هنانو ، الذي ترجم لنـا النصوص التركية ترجمة تكاد تكون « حرفية » ، مؤازرته لنـا ، وقد أثبتنا ترجمته بعد تعديل يسير جداً، وبعد حذف شيء من الكلمات النابية التي استعملها محمد علي وابنه وغيرهما في كلامهم عن أهل نجد وحكام الدرعية ، وهي موجودة في الأصول التركية ، ولا يضرّ حذفهـا شيئاً في وصف الأحداث التاريخية .. وأما ما أبقيناه من تلك السباب ، فإنمـا استبقيناه للدلالة على سوء أدب كاتبيه وافترائهم وبهتانهم .

هل تعهّد سعود بالابتعاد .. عن الحرمين ؟

ومـا يحسن التنبيه عليه ، في أمر الوثيقة (١٦٥٤٠) المنشورة في الصفحة (٢٧٦)، أنها كتبت في عهد الإمام عبد العزيز ، وكان من حقها ، تاريخياً ، أن تثبتَ في الجزء الثاني من كتابنا ، ولكننا اخترنا لهـا هذا المكان ، لأنها تتعلق بسعود ، ولأن كاتبها، والي العراق علي باشا، يزعم أن سعوداً (تعهّد بألا يقترب فيما بعد من حدود الحرمين ، أو من حدود الممتلكات الخاقانية .. وحين أبدى وأكد رغبته في ذلك وحلف الأيمان وأعطى المواثيق على ما قال وتعهد ، أخذ منه سند محرر ألصق عليه طابع رسمي ..)

ولا نشك في أن هذه الدعوى باطلة تماماً ، ولم يُشِرْ اليها أحد من مؤرخي الترك الموثوقين ، وربما ذكرها الوالي ليبرر تخلفه عن القيام بمحاربة الدرعية !..

مساعدات الترك للمصريين في إعداد الحملة :

أما الوثيقة (١٩٥٤١) فقد اخترناها لأنها واحـدة من الوثائق الكثيرة التي تدلنا على أن الأتراك كانوا يساعدون المصريين في بنـاء السفن الحربية وتجهيزها بالمدافع ، كما ساعدوهم بإرسال القذائف والصواريخ ومختلف الأسلحة والضباط والمدربين والعساكر .

وصف المعارك :

أما الوثائق الاخرى فتتصل بوصف المعارك التي وقعت في ينبع وبدر والجديدة ، وقد أشرنا اليها في وصفنا لتلك الحوادث ، والأمر المستهجن الفظيع الذي نجده في بعض رسائل طوسون وأبيه محمد علي هو اعتزازهما بتهاوي الرؤوس المقطوعة ، وهـذه الحالة هي أسوأ حالات « النفسية » المرضية اللاأخلاقية التي يسمونها في الغرب : (الكلبية) !

رسائل العربان :

وقد أثبتنا الوثيقة ١٩٧٠١ العربية وهي رسالة صادرة عن الشيخ طالب بن بدير ، ضابط (العلا) ، وفيها يخبر والي العراق ، رواية عن حاكم المدينة ، أن طوسون وصل الرس ، وأن بدو حرب ذبحوا (ابن حجيلان) ورجاله.. وهذه الحماسة المصطنعة في رواية الاخبـــار والمبالغة فيها كانت نتيجة شراء الضمائر ليس غير .

الاحاديث المصنوعة :

وقد أثبتنا أيضاً الوثيقة ١٩٥٤٧ ، وهي رسالة من محمـد علي الى السلطان ، يعترف فيهـــا بخسائره الجسيمة في الأنفس والمعدات ، وبضعف (معنويات) جنوده ، وأنهم « أوصوا بالثبات والحزم ، وأن يحتفظوا بعقولهم في رؤوسهم » ، ومن أعجب الامور أن محمـد علي يقول للسلطان ، مبرراً فشل الحملة ، أن إقليم الحجاز (مهلك للنفوس) ، ويورد هذا الحديث المصنوع :

« من صبر على حرّ مكة وبرد المدينة فتحت له الجنة » !

قيمة الوثائق :

ومهما تكن المآخذ التي نأخذها على بعض الوثائق ، ففيها كثير من الحقائق ، بما تتناول من وصف للوقائع ، وتحديد للتواريخ والأماكن ، ولا بد لكل مؤرخ من الإطلاع عليها والإفـادة منها ليكون عمله مساهمة مرضية في خدمة الحقيقة والتاريخ .